

الإساءة الوجدانية للطفل

لحسن ذبيحي
محمد غزالي
(جامعة سطيف)
(جامعة سطيف)

الملخص:

تعد ظاهرة الإساءة للأطفال بأشكالها جميعها من أخطر الظواهر التي تقف في وجه تقدم المجتمع وتهدد تماسكه من كونها تنشئة اجتماعية غير صحية، تنشئ جيلاً ((مشوهاً نفسياً)) فاقداً للثقة بالنفس، ممسوخاً للهوية النفسية، وللإساءة أو الاضطهاد الذي يتعرض له الأطفال عدة أشكال هي: الإساءة النفسية والجسدية والجنسية، وإن كان مصطلح الإهمال يعد شكلاً من أشكال الإساءة التي يتعرض لها الأطفال في مراحل التربية الأولى من حياة الطفل. وسوف يتركز حديثنا في هذه المداخلة (المحاضرة) على شكل واحد من أشكال الإساءة أو الاضطهاد التي يتعرض لها الطفل ألا وهي الإساءة الوجدانية، فقد تطالعنا وسائل الاعلام بصورة مفزعة عن العنف الجسدي الذي يتعرض له الأبناء، ولأن الصورة المفزعة للآثار الجسدية تجبر الجميع أن يلاحظ وينطق بما يحدث، إلا أن الإساءة النفسية أشد ضرراً على الحال التكوينية العامة للطفل رغم أنها لا تثرى ولكنها تفعل فعلتها عبر الزمن حيث تضرب تكامل الشخصية وتهز أهم دعائمها وهو الجانب الانفعالي أو الوجداني الذي يعد المحدد العام لنمو الشخصية السوية من غير السوية في المستقبل. وتتناول هذه المداخلة العناصر التالية: مفهوم الإساءة الوجدانية-حقائق حول الإساءة الوجدانية-معدلات انتشار إساءة معاملة الأطفال مستويات الإساءة الوجدانية ودرجاتها-أشكال الإساءة الوجدانية -الإساءة الوجدانية والجفاء الوجداني مع الأسرة -آثار الإساءة الوجدانية-الاتجاهات والنظريات المفسرة للإساءة الوجدانية-علاج الإساءة الوجدانية. الكلمات المفتاحية: الإساءة الوجدانية، الطفل.

مقدمة:

من الصعب الوقوف على تحديد مفهوم الإساءة الوجدانية (الانفعالية) مقارنة بالإساءة الجسدية أو الجنسية وذلك لأن مظاهر الإساءة الوجدانية غامضة، حيث لا توجد علامات ظاهرة وواضحة للمحيطين بالطفل، وتعد الإساءة الوجدانية من أخطر أنواع الإساءة التي يتعرض لها الطفل ومن أصعبها تحديداً، وعلى الرغم من ذلك فمن الواضح أن هذه الصورة من الإساءة لها أضرار كبيرة يمكن أن تؤثر على تقدير الطفل لذاته وعلى حياته الانفعالية.

1. مفهوم الإساءة الوجدانية:

أولاً: مفهوم الطفل والطفولة: الطفل في اللغة العربية معناه الصغير من كل شيء، ويقال فلان يسعى في أطفال الحوائج أي صغارها، والطفل يطلق على الولد والبنت، أما كلمة طفل (Enfant) في اللغة الفرنسية فهي مشتقة من اللفظة اللاتينية (Infant) التي تفيد معنى ((الذي لا يتكلم)). وحدد القرآن الكريم مدة الطفولة في قوله تعالى: (يا أيها الناس إن كنتم في ريب مما نزلنا من البعث فإننا خلقناكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة مخلقة وغير مخلقة لنبين لكم ونقر في الأرحام ما نشاء إلى أجل مسمى ثم نخرجكم طفلاً ثم لتبلغوا أشدكم) (الحج:5). ومن الناحية القانونية فقد أصدرت الأمم المتحدة اتفاقية حقوق الطفل وصادقت عليها دولها عام (1990)، وحددت هذه الوثيقة الطفل بأنه: " كل إنسان لم يتجاوز سنه الثامنة عشر، ما لم تحدد القوانين الوطنية سناً أصغر للرشد" (احمد أوزي، 2014، ص 45).

وقبل تعريف الإساءة الوجدانية يجب تعريف مفهوم العنف والإساءة إلى الطفل بأنها ردود الأطفال المباشرة التي توجه نحو الطفل بهدف إيقاع الأذى النفسي أو اللفظي أو الجسدي أو الجنسي عليه. كما عرفت منظمة الصحة العالمية الإساءة إلى الأطفال [Child Maltreatment[CM]]، بأنها: " جميع أشكال المعاملة الجسدية/ أو العاطفية السيئة، والإساءة الجنسية، والإهمال، أو المعاملة المهملة، المؤدية إلى إلحاق أذى فعلي أو محتمل لصحة الطفل وبقائه وتطوره ونموه أو كرامته (ماجد أبو جابر وآخرون، 2009، ص 17).

ويمكن توضيح أو تعريف إساءة معاملة الطفل (Child Abuse) بأنها تتمثل في استخدام العقوبة البدنية أو النفسية المتكررة من الوالدين أو إحداهما للأطفال القصر وذلك من خلال الضرب المقصود والعقاب البدني المبرح وغير المنظم، أو السخرية والاهانة المستمرة، والمعاملة الجنسية، أو يتم إخضاعه لممارسات التقليدية الضارة (هه تاو كريم، 2014، ص 42).

يقترح "ماكي وولف" (McGee&Wolfe, 1991) أنه يتعين تعريف سلوك الإساءة الوجدانية من دون اعتبار المسألة دافع الآباء أو قصدهم أو نيتهم، والأجدر قياس السلوك الوالدي على متصل يتراوح بين صيغ السلوكات الوالدية بسيطة الخطورة الى الصيغ شديدة الخطورة. وذلك لأن النية والقصد يمكن تلمسها بناء على متغير الشدة على هذا المتصل إضافة الى ان ادراكات الطفل لنية او قصد الآباء او قصدهم يحدد تحديد كبيراً تأثير الفعل الوالدي أكثر من الفعل ذاته، وبالتالي يجب قياس هذه الادراكات قياساً منفصلاً عن السلوك الوالدي ذاته في إطار ما يعرف بقياس خبرات الإساءة المدركة او المقدرة (أبو الديار، 2014، ص 121).

كما تعرف الإساءة الوجدانية بأنها: " نمط سلوكي مستمر يتصف بانسحاب المسيء من العلاقة الوجدانية الطبيعية مع الطفل التي يحتاج اليها لنمو شخصيته، وتشمل: الإساءة الكلامية، والإساءة العقلية، الإساءة النفسية، وقد تكون على شكل استخدام طرائق عقابية منها: حبس الطفل في الحمام أو ربطه بأثاث المنزل أو تهديده بالتعذيب والاستخفاف بالطفل أو تحقيره أو نبذه وإستخدام كلام حاط من مكانته أو تعنيفه أو لومه وإهانته" (أبو الديار، 2014، ص 121).

. الإساءة الوجدانية حسب (محمود سعيد الخولي، 2008، ص 89) تتمثل في: الإهانة، الاذلال، السخرية من الطفل أمام الرفاق، نعتة بصفات مؤذية، احتجازه، القساوة في التخاطب معه، انتقاده باستمرار، التمييز بينه وبين طفل آخر، البرودة العاطفية في التعاطي معه، وعدم احترامه.

. الإساءة الوجدانية/النفسية (Psychological/Emotional Abuse) تُعدّ الإساءة النفسية من أشكال الإساءة التي لا يمكن تبريرها لأنها تهاجم القيمة الذاتية للطفل

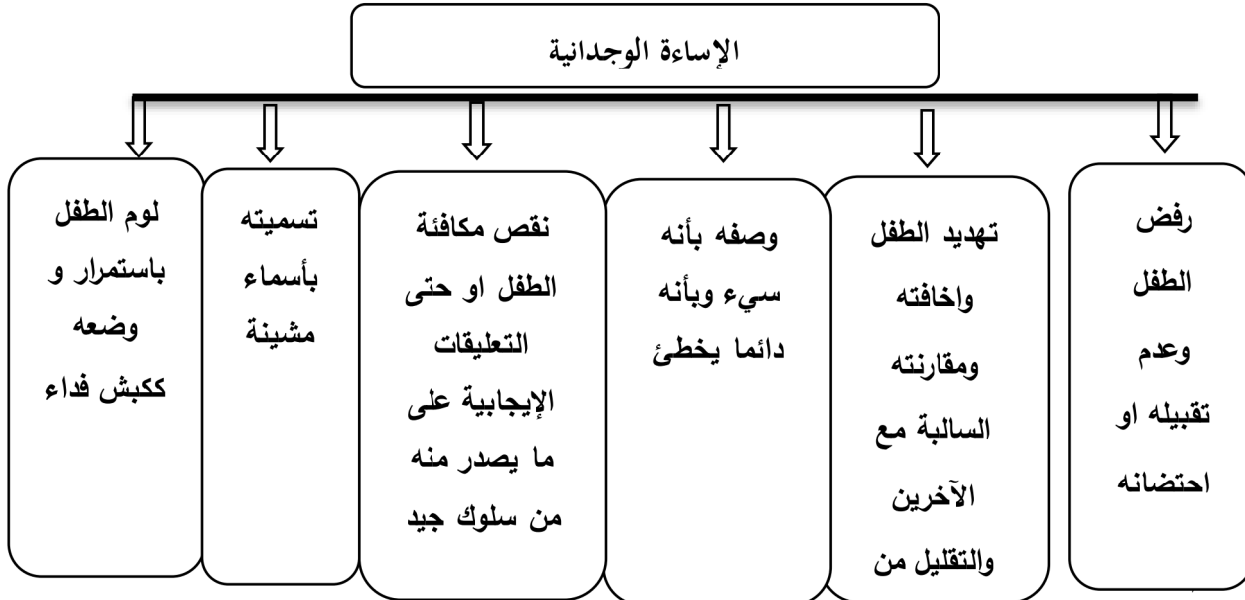
وتتألف الإساءة النفسية والعاطفية من سلوكيات التحقير وتشويه السمعة أو السخرية من الطفل في أي وقت، خصوصاً عندما يكون اهتمامه مركزاً على شيء اخترعه أو أنجزه (Kluft, 1984) وتتضمن الإساءة النفسية بعض التصرفات. التي تضع الطفل في مواقف مستمرة ودائمة من التهديد والخوف أو الإرهاب ويُعد الإهمال والحماية الزائدة والتشدد في فرض الأوامر، ورفض الطفل، والتوقعات العالية جداً من الطفل، إضافة إلى النقد المتكرر، والألفاظ غير اللائقة، والشتائم، والإهانات، والتحقير، الذي يطلق عليه أحياناً العنف اللفظي، من الأمثلة على الممارسات السلبية للإساءة النفسية للطفل (ماجد أبو جابر وآخرون، 2009، ص 18).

. ويعرف (أحمد أوزي، 2014، ص 48) الإساءة الوجدانية بأنها العنف العاطفي ويقصد بالعنف العاطفي أو الاعتداء العاطفي على الطفل كل أشكال التصرف التي ينتج عنها ضرر لنفسيته أو لنموه ونضجه الاجتماعي. إن هذا النوع من العنف أو الاعتداء لا يستلزم بالضرورة اللمس ولكنه يمارس عبر تصرفات أو كلمات جارحة توجه إليه، كالصراخ في وجهه أو الشتم أو إطلاق الأسماء والنعوت المكروهة في حقه أو مقارنته السلبية بغيره أو التفوه بالمقارنة بجمل وعبارات تحط من قدره، كوصفه بالسوء أو النقص من إمكاناته وقدراته... الخ

يعرفها جلاسر (Glaser, 2002) بأنها السلوك الذي يؤثر على النمو الانفعالي ونمو الذات لدى الطفل ويمارس عليه بشكل مقصود أو غير مقصود من قبل الراشدين المحيطين به الأخوة، المعلمين، الملمات، وتتضمن الإساءة العاطفية (الوجدانية) تحقير الطفل، إهماله، تهديده، عزله عن الآخرين (إنتصار هاشم مهدي وآخرون، 2015، ص 229).

وعليه تعرف الإساءة الوجدانية حسب (أبو الديار، 2014، ص 121) بأنها القسوة في معاملة الأطفال كما تتضح من الأفعال اللفظية وغير اللفظية المتكررة أو الفردية المتعمدة أو غير المتعمدة التي يرتكبها الأشخاص المقربون منهم والذين هم في وضع قوة أوفي وضع تحمل مسؤولية رعايتهم وتربيتهم، وهي كذلك الضرر أو الأذى الاجتماعي المعرفي الانفعالي، أو البدني المحتمل أو الممكن الذي قد يصاب

به الأطفال نتيجة تعرضهم لسلوكيات أو أفعال التحقير/ الازلال، التخويف/ الترويع والنذب/ الرفض الشديد، الحرمان من الاحتياجات الأساسية، بث الضيق والالام الانفعالي/الافساد / الاستغلال، سوء التوجيه المعرفي، أو الابتزاز/ الاستغلال الانفعالي"وعليه نستخلص عناصر مفهوم الإساءة الوجدانية كما يلي:



المصدر (مسعد أبو الديار، 2014، ص 122 الباحث بتصرف)

2.حقائق حول الإساءة الوجدانية:

1. الإساءة الوجدانية تمثل حوالي 8 % من أشكال الإساءة الممارسة على الأطفال.
- 2.أنواع الإساءة التي يتعرض لها الأطفال جميعها هي: (الإهمال، الإساءة الجسدية، الجنسية، أو المادية) تصاحبها الإساءة الوجدانية.
3. الإساءة الوجدانية تظهر وحدها.
- 4.الإساءة الوجدانية تظهر ظهوراً نمطياً ومستمرّاً، ولن يتحسن سلوك المسيء إن لم يُوجه.
- 5.الإساءة الوجدانية والإهمال يؤثران سلبا تأثيراً كبيراً على: مفهوم الذات، الذكاء، الذاكرة، الإدراك، الانتباه، الخيال (النمو العقلي والمعرفي بشكل عام) والنمو الاجتماعي الانفعالي.

6. الأطفال الذين يتعرضون للإساءة الوجدانية غالبا ما يتعرضون للإساءة في المراحل العمرية التالية أو يمارسونها على منهم أضعف منهم (أبو الديار، 2014، ص 121).

3. معدلات انتشار إساءة معاملة الأطفال:

إن انتشار إساءة معاملة الأطفال وإهمالهم، أمر مثير للجدل في دول العالم جميعها، ومن السهل انتقاد الدراسات والخبراء في الدول المختلفة لهذه الظاهرة بسبب عدم الاتفاق على تعريف الإساءة وأنماطها ولا سيما الإساءة الجنسية، وكذلك بسبب التأثير الوجداني والأخلاقي في القدرة على الحكم العقلي السليم عند التعامل مع حالات الإساءة، وتشكل الإساءة ظاهرة مرضية منتشرة في معظم المجتمعات تشمل الأطفال الذكور والإناث، وليست مرتبطة بالدين أو العرق أو المستوى الثقافي أو الاقتصادي، وهناك حالات لا تصل مطلقاً إلى المسؤولين ولا سيما حالات الإساءة الجنسية التي لا يرافقها عادة علامات لأذى عياني.

وقد أقرت بعض الدراسات أن أكثر من 85% من الأطفال الذين يتعرضون لشكل واحد "في الحدود الدنيا" من أشكال الإساءة، أو أكثر من شكل من تلك الأشكال "في غالب الأحيان" يتجهون في مرحلة المراهقة إلى نوع من الانحرافات السلوكية أو الجنسية أو تعاطي المخدرات، كشكل من أشكال التعويض النفسي أو رغبة في الانتقام من كل أشكال السلطة التي كانت سبباً في سلبه الهوية النفسية المتزنة، كما أكدت الدراسات أن الإساءة النفسية كانت أشد ضرراً والأكثر انتشاراً بنسبة تزيد عن 49% من الصيغ الأخرى، فقد يشفى وينسى الأطفال الجروح الجسدية ولكنهم لن ينسوا الخوف، والاذلال، وفقدان الاحترام والتقدير والتحقير.

وقد أظهرت دراسة لمؤسسة منع إساءة الطفل في مدينة نيويورك أن 92% من الأسر الأمريكية تسيء معاملة أطفالها بسبب انقطاع الحوار بين الأبوين، وتتمثل الإساءة في محاولة فرض الطاعة على الأطفال بالوسائل الترهيبية كالعقوبات الجسدية، وتكشف الدراسة أن ما يزيد على مليون طفل يهرون سنوياً من جحيم الأسرة ليلتحقوا بعصابات على أمل أن توفر لهم حق المساواة مع الآخرين أو على الأقل ما هم بحاجة

اليه، وهذا يؤدي وفق العيادات النفسية الى احتمال الإصابة بالاضطرابات النفسية والجسدية والعقلية (أبو الديار، 2014، ص 123-124).
وقد توصلت دراسة (انتصار هاشم مهدي وآخرون، 2015) الى عدم وجود فروق في درجة العنف العاطفي لدى تلاميذ المرحلة الابتدائية (6 سنوات، 7 سنوات، 9 سنوات، 11 سنة) تبعاً لمتغير العمر، وأن العنف العاطفي لا يختلف باختلاف الجنس.

4. مستويات الإساءة الوجدانية ودرجاتها:

1. مستوى الإساءة الوجدانية الشديدة أو الواضحة: وتشمل العديد من فئات سوء المعاملة الانفعالية / النفسية مثل الحرمان من الاحتياجات الأساسية، وفئة النبذ الشديد.
2. الإساءة الوجدانية المتوسطة: كالمعاملة ببرودة وجفاء شديد، والانتقاد الدائم والعلني لأتفه الأسباب أو حتى من دون وجود سبب ظاهر، (الكراهية غير المعلنة) وتشمل العديد من فئات الإساءة الانفعالية / النفسية مثل الحرمان من الأشياء المحبوبة.
3. الإساءة الوجدانية البسيطة: وتشمل العديد من فئات الإساءة الانفعالية / النفسية مثل: الإذلال والاهانة (أبو الديار، 2014، ص 125-124).
5. أشكال الإساءة الوجدانية:

ومن أهم أشكال الإساءة الوجدانية حسب (مسعد أبو الديار، 2014، ص 126-130) ما يلي:

1. الإذلال والتحقير: Humiliation/ degradation تتمثل في الأفعال والتعليقات التي تحط من قدر الطفل وتحقره وتعرضه للذل والاهانة، مما قد يثبت لديه الشعور بالخزي أو العار والخل من الذات.
2. التخويف أو الترويع: Terrorizing يتضمن محاولات بث الخوف الشديد أو الرعب في نفس الطفل على نحو مستمر من دون اللجوء الى الاعتداءات البدنية.
3. الإفساد المعرفي أو سوء التوجيه المعرفي: cognitive Disorientaion يتضمن تضليل الطفل وتشويهه معرفياً منها: تشويه معتقداته وتسفيه

تصوراته وتفسيراته. افساد ذاكرته، تشويه احساسه بهويته الذاتية كأن يقال له على نحو دائم "نحن لا نعرفك".

4. الحرمان من الاحتياجات الأساسية: Deprivation of basic needs

يتضمن هذا النمط حرمان الطفل من الاحتياجات الإنسانية مثل: الإضاءة النوم الطعام، أو صحبة الآخرين ومرافقتهم.

5. الحرمان من الأشياء المحبوبة أو محل التقدير of valued objects Deprivation

تتضمن هذه الفئة حرمان الطفل من الموضوعات أو الأشياء التي يحبها أو يقدرها أو ذات الأهمية والقيمة فيما يتعلق به، وربما تكون هذه الأشياء موضوعات مادية.

6. الرفض أو النبذ الشديد: Extreme Rejection

يتضمن هذا النمط العتبات المرتفعة من النبذ الذي يشير الى التخلي عن الطفل وهجره وطرده من المنزل وتمني موته، وتشمل إبعاد الطفل عن المنزل مدة طويلة أو وضعه في أماكن غير مألوفة مدة طويلة.

7. بث الضيق والتألم الانفعالي والازعاج الدائم

للطفل: Inflicting marked distress or discomfort يتضمن إجبار الطفل على تناول أطعمة كريهة، وتكليفه بأعمال شاقة تفضي به الى حال من الكدر النفسي والإعياء.

8. الاستنزاف أو الابتزاز الانفعالي: Inflicting marked distress or discomfort

يتضمن الابتزاز العاطفي نشر معلومات سلبية عن الطفل أو الأسرة أو إفشائها، ينتج عنها لواحق نفسية سلبية بالطفل. وعادة ما يقترن هذا النمط من أنماط الإساءة الانفعالية/ النفسية بالإساءة الجنسية لضمان إذعان الضحية، ويتحقق ذلك من خلال التهديد بإيذاء الأشخاص المقربين بالطفل أو تهديد الطفل بنشر الشائعات عنه.

9. الفساد/ الاستغلال: Corruption/ exploitation

يتضمن هذا النمط اجبار الطفل على أنشطة مستهجنة ومرفوضة مثل السرقة وترويج المخدرات، وتندرج أنشطة

الاستغلال الجنسي تحت هذا النمط أيضاً مثل أخذ صور خليعة للطفل وتوزيعها للربح التجاري ويمكن هذا المثال ضمن فئتي الإساءة الجنسية والإساءة الانفعالية/ النفسية.

10. الإهمال الوالدي: Parental Neglect يعكس الإهمال الوالدي نقص

اهتمام الآباء برعاية الطفل في المجالات التالية: الرعاية البدنية، الصحية والطبية، الصداقة والتشجيع على تكوين الأصدقاء، العمل المدرسي، التخطيط للمستقبل، عدم التواجد الانفعالي في حياة الطفل وعدم تقديمهم المساعدة الانفعالية له وقت الضيق والتألم النفسي ولهذه النقطة الأخيرة علاقة تامة بالإساءة الوجدانية إذ يميل معظم الباحثين الى عدها صيغة من صيغ الإساءة الوجدانية.

11. الكراهية الوالدية: Parental Antipathy تتدرج السلوكات الوالدية

الموجهة نحو الطفل التي تفيد الكره، النبذ، التنغيص أو التكدير، البرود والجفاف تحت فئة تسمى الكراهية الوالدية وتقاس هذه الفئة برصد التعليقات النقدية اللاذعة وتقييمها، وتعليقات الرفض أو النبذ والعدوان اللفظي الذي يوجهه الآباء أو غيرهم من المقربين الى الطفل.

وعموماً تأخذ الإساءة الوجدانية مجموعة من الأشكال والتي يمكن إيجازها على النحو الآتي:

أولاً: الاستغلال: ويكون من خلال الحصول على شيء ما من الطفل نتيجة لضعفه.

ثانياً: عدم قبول الطفل من قبل والديه: ويتمثل برفض مطالب الطفل وعدم تلبية حاجياته الأساسية أو الإهمال في تقديم الرعاية المناسبة والشاملة.

ثالثاً: الإرهاب: ويتطلب ذلك إجبار الطفل على مشاهدة الإيذاء المحبب لدى الكبار كالتهديد بالاعتداء على الطفل من قبل أفراد لإجباره على أداء سلوك ما.

رابعاً: ذم الطفل وإهانته: ويكون ذلك عن طريق تحقير الطفل ولومه والنظر اليه بسخرية، وتجنب الحديث معه وتجاهله وعدم التفاعل معه، وهناك العديد من المؤشرات السلوكية التي تميز الأطفال الذين تعرضوا للإساءة الانفعالية عن غيرهم، وهي:

1. الاعتمادية وتجنب التفاعل مع الآخرين.
2. تقدير الذات متدني.
3. الشعور بأنه غير محبوب، وغير مرغوب فيه.
4. سلوك غير سوي يتضمن الخوف والقلق والعدوان.
5. التشاؤم من الحياة لا يتناسب مع عمره الزمني.
6. الشعور بعدم الكفاية والدونية وضعف الدافعية (العجمي، 2003، ص 33-34).
5. الإساءة الوجدانية والجفاء الوجداني مع الأسرة:

يؤكد (أحمد سهير كامل، 1999) أن الطفل يحتاج في نموه الانفعالي الى العاطفة، وبعده كائناً اجتماعياً فهو يحتاج الى إشباع حاجاته النفسية، وتتأثر شخصيته تأثراً كبيراً بما يصيب هذه الحاجات أو بعضها من إهمال أو حرمان، وتتأثر بصفة عامة بالأسلوب أو بالطريقة التي تواجه بها هذه الحاجات، ومن أهم هذه الحاجات: حاجة الطفل الى التجاوب الوجداني داخل الأسرة (أي تبادل المحبة والحنو مع الوالدين)، وكلما قلت العاطفة وجاءت مكانها القسوة والإساءة كان الطفل أكثر اضطراباً وتشتتاً. وقد ثبت علمياً أن الطفل يتأثر بما يحيط به من الحنو أو القسوة تأثراً عميقاً يصاحبه بقية حياته وعمره، ويشمل نواحيه الصحية والنفسية، فشراسة الخلق والقسوة والحدق على المجتمع تنعكس في نفوس الأطفال اللذين حرّموا حنان الوالدين حتى يشب هؤلاء شاذين عن المجتمع ويميلون الى الانحراف عن نظامه ومعاييره، وترك الوالدين لأطفالهما ضحية للإهمال الوجداني ينتج عنه عواقب وخيمة تلف كيان الطفل وتهزه هزاً عنيفاً (مسعد أبو الديار، 2014، ص 130-131).

6. الاتجاهات والنظريات المفسرة للإساءة الوجدانية:

عدد الباحث مسعد أبو الديار (2014) النظريات المفسرة للإساءة الوجدانية في: نظرية التحليل النفسي، الاتجاه البيولوجي، نظرية السمات الشخصية، الاتجاه البيئي، العوامل الأسرية، النموذج الاجتماعي والضغوط الاجتماعية وفيما يلي عرض موجز لهذه النظريات:

أولا نظرية التحليل النفسي: وفق هذه النظرية فإن الأسباب التي تؤدي الى الإساءة للطفل تتمثل في الفشل في تكوين رابطة بين الأم والطفل، والفشل في تكوين روابط أسرية بين أفراد الأسرة، وسيادة اتجاه رفض الوالدين للطفل ووجود آلية كبش الفداء، كما ان الاهل المعتدين بلا استثناء قد تعرضوا للاعتداء أو التجاهل في طفولتهم. وترتب على ذلك عدم مقدرتهم على تطوير مشاعر الحب، وكانوا كشباب يتسمون بالانرجسية، ولم يكن لديهم القدرة على السيطرة على الأنا (أبو الديار، 2014، ص 140-141).

ثانيا: الاتجاه البيولوجي: يربط هذا الاتجاه بين حدوث العنف والأساس البيولوجي في شكل الكروموزوم، بمعنى وجود عامل وراثي (Genetic Factor) كزيادة كروموزوم (Y) لدى الذكور، وهذا التركيب وجد لدى كثير من السجناء، ويربط البعض بين القيام بالعنف واستثارة منطقة موجودة في الدماغ.

ثالثا: نظرية السمات الشخصية: وتعد هذه التفسيرات المبكرة للإساءة للطفل واهماله التي استمرت في مسارها ضيقة الأفق، ولأن الإساءة للطفل فعل منحرف، فقد أستنتج أن مرتكبي مثل هذه الأفعال مجرمون منحرفون أو مضطربون نفسياً (أبو الديار، 2014، ص 140-141).

رابعا: الاتجاه البيئي: ان الإساءة الى الطفل والصور المرتبطة بها من سوء المعاملة لا ينظر اليها كظواهر اجتماعية منعزلة او عيوب في الشخصية وانما ينظر اليها كعرض للمجتمع الذي يُسَوِّغ استخدام الأساليب العنيفة تجاه الأسرة في ظروف معينة الذي لا يقدم خدمات كافية وحاجات أساسية لكل أعضائه، ويختار تعريف سوء المعاملة في ضوء مصطلحات نسبية أكثر منها قاطعة أو حاسمة، ووفقا لذلك لا ينظر الى ممارسات تربية الطفل غير الملائمة والمسيئة في علاقاتها بالعوامل الفردية فحسب وانما كدالة للقوى الاجتماعية والثقافية التي ترسي مقاييس السلوك الفردي أيضا، ويظل الاتجاه البيئي واعداء، ويكون بنية الكشف عن الأسباب متعددة الأبعاد (أبو الديار، 2014، ص 140-141).

- خامسا: العوامل الأسرية:** تعد الأسرة هي المصدر الرئيس في عملية التنشئة الاجتماعية لما لها من دور كبير في رعاية الطفل واشباع حاجاته الأساسية من طعام وشراب وإشعاره بالأمن.
- وأتبعت كثير من الأسر ممارسات أساءت بها الى الطفل ومنها ما يأتي:
- خروج الأم الى العمل واستمرارها به ساعات طويلة خلال النهار، وحرمان الطفل من العطف والحنان.
 - الخلافات الأسرية بسبب الظروف الاقتصادية وما ينجم عن ذلك.
 - انشغال الآباء بالعمل أو الهجرة الى الخارج وغيابهم المستمر عن الأسرة.
 - الضغوط الاسرية التي يعانيتها أحد الزوجين أو كلاهما التي تؤثر تأثيرا كبيرا في رعاية الطفل.
 - ضيق المسكن وكبت حرية الطفل وقضاء الأطفال معظم الوقت خارج المنزل، وارتفاع عدد أفراد الاسر الذين يعيشون في منزل واحد.
 - عزلة الاسرة اجتماعيا.
 - ضعف الإحساس بالمسؤولية تجاه أفراد الأسرة.
- كما أن أسرا تقوم ببعض الممارسات اثناء تربيتها لأطفالها من خلال أفعال: كالترهيب، أو بث القلق، والخوف في نفوس الأطفال، أو معاقبتهم، أو صب اللعنات عليهم، أو عدم إشباع حاجاتهم الوجدانية، وتسيئ بعض الأسر معاملة الطفل نفسيا كإشعاره بأنه لا قيمة له وأنه غير محبوب، أو غير مرغوب فيه، أو سبه بأفزع الشتائم وإهانته أمام الآخرين.
- وأكد العديد من علماء الاجتماع على وجود مستويات عدة تسهم في إساءة معاملة الطفل ومنها: أثر تاريخ الأسرة على ممارسات الأب والأم والنظام الخارجي للأسرة وخاصة الجيران، ومساندة الأسرة، ومكونات ثقافة الأسرة. ولوحظ أن الأطفال الذين يعيشون الضغوط الاقتصادية والاجتماعية والنفسية التي يقع الآباء تحت وطأتها يكونون أكثر عرضة للإساءة النفسية (أبو الديار، 2014، ص 141-142).

سادسا: النموذج الاجتماعي والضغوط الاجتماعية:

تتمثل الضغوط الاجتماعية في الأسرة بالفقر والبطالة وعدم التكافؤ الاجتماعي ووجود طفل معاق وغالبا يكون ضحايا الإهمال للفقر والفشل في توفير المأكل والملبس والسكن والرعاية الطبية وزيادة حجم الأسرة، ونقص الموارد المالية تمثل ضغطاً اجتماعياً كبيراً مما يؤثر تأثيراً كبيراً على شخصيته المستقبلية من خلال ما يلي: ضعف الثقة في النفس، الشعور بالإحباط، العدوان، القلق، المشكلات النفسية والسلوكية طويلة الأمد (أبو الديار، 2014، ص 142-143).

7. آثار الإساءة الوجدانية:

تزايدت في السنوات الأخيرة الدراسات والبحوث التي استهدفت اختبار التأثيرات السلبية الناتجة عن التعرض لخبرات الإساءة الوجدانية وفحصها خلال مرحلة الطفولة، ويشير ((سير يزو وفريس)) الى أنه عادة ما يعرف سوء المعاملة الوجدانية في إطار ارتباط عمليات الإساءة الوجدانية للأطفال بما ينتج عن هذه الإساءة من تداعيات سلبية معينة أو ما يعرف بالتعريف منها لا سيما تضرر النمو الانفعالي والاجتماعي العقلي وتوقعه بما يتضمنه من عجز أو ياس متعلم وانخفاض أو تدني تقدير الذات (Cerezo&Frias, 1994)، والعدوان وبطء الاستجابة الانفعالية أو التبدل الانفعالي والعصابية (Black, Smith, Slep,&Heyman, 2001)، والاعتماد الزائد على الآخرين وعدم الكفاءة الاجتماعية والفشل الدراسي (Skuse&Bentovim, 1994)، كما توجد علاقة بين التعرض لخبرات إساءة المعاملة في مرحلة الطفولة وكثير من أشكال الاضطرابات النفسية منها: نوبات الاكتئاب الكبرى، والكدر الانفعالي العام المقترن باليأس والقنوط وفتور الهمة (Kaufman, 1991; Stone, 1993)، إضافة الى أن التعرض لمثل هذه الخبرات ربما يعيق النمو البدني للضحايا (Skus, 1989). وتعد دراسة ((ميولن وزملاؤه)) من الدراسات القليلة التي أكدت على التأثيرات طويلة الأجل لخبرات سوء المعاملة التي يتعرض لها بعض الأطفال خلال مرحلة المراهقة إذ وُجد أن تعرض الأطفال لمثل هذه الخبرات ربما يفضي الى معاناتهم في مرحلة الرشد كثيراً من الاضطرابات منها: تدني أو انخفاض دال في تقدير

الذات، اضطرابات الأكل، والاكتئاب وسلوكيات الانتحار (Mullen, Martin, Anderson, Romans, & Herbison, 1996) كما كشفت دراسة ((بيتزنروآخرين)) عن وجود علاقة بين التعرض لخبرات إساءة المعاملة الانفعالية والعاطفية في مرحلة الطفولة والمعاناة من متلازمة التوتر النفسي العام في مرحلة الرشد (Pitzner, McGarry-Long, & Drummond, 2000) و انتهت دراسة ((فاريا ويدين)) الى وجود علاقة دالة بين تعرض الأطفال لخبرات سوء المعاملة الانفعالية وقصور علاقاتهم الاجتماعية المتبادلة مع الآخرين خلال مرحلة الرشد إذ إن التعرض لهذه الخبرات يخرب علاقاته الاجتماعية المتبادلة مع الآخرين (أبو الديار، 2014، ص 132-133-134).

وغالباً ما يركز إخصائيو الصحة النفسية عند تناول جوانب التعطل العاطفي، لدى الأطفال المعرضين لأخطار العنف والإساءة الوالدية والأسرية، على الأعراض والاضطرابات العقلية التي قد تتفاقم معتقد مسن الطفل، مع مراعاة أن سوء التوافق النفسي لدى هؤلاء الأطفال يمكن أن يظهر أيضاً في جوانب أخرى من التطور العاطفي والنفسي بما في ذلك التنظيم العاطفي والعلاقات مع الأقران والتعلق ونظام الذات إضافة إلى الاكتئاب والقلق وضعف الثقة بالنفس، وعدم الوثوق بالآخرين، والخلل السلوكي كاضطرابات تناول الطعام وتعاطي الكحول والتشويه الذاتي، واضطراب توتر ما بعد الصدمة (ماجد أبو جابر وآخرون، 2009، ص 21).

وقد تسبب مشكلة العنف العاطفي للأطفال مشكلات متعددة في الجانب التربوي والنفسي للتلميذ ومنها نظرته السلبية اتجاه المعلم والمدرسة وكذلك تقديره المتدني لذاته وتعرضه لاضطرابات مثل القلق والاكتئاب... الخ (انتصار هاشم مهدي وآخرون، ص 226).

وفي هذا الصدد أوضح (البحيري وآخرون، 1994) أن أهم آثار سوء معاملة الطفل وإهماله التي تظهر في الموقف المدرسي سلوكيات عدم الأمانة حيث اتضحت في اللوحة أفعال: السرقة، الكذب، والغش، والشعور بالوحدة الذي يتمثل في: شعور الطفل برفض زملائه، والشعور بالذنب، والكراهية، من النظر كرد فعل على سلوكه

المنحرف، والانحرافات الجنسية ومشكلات الانضباط داخل الفصل التي تتمثل في الاعتداء على الزملاء والعناد، والاندفاع، والضوضاء، والشروء، وعد القيام بالواجبات المدرسية (أبو الديار، 2014، ص 132).

8. علاج الإساءة الوجدانية للطفل:

ينبغي أن تعالج المشكلة من خلال مؤسسات اجتماعية متخصصة تهتم وتعمل على إجراء الدراسات والبحوث للوقوف على حجم المشكلة وتحديد العوامل المؤدية إليها ومعرفة أفضل الطرق للتعامل معها، بالإضافة إلى توفير الرعاية الصحية والنفسية لهذه الفئة وأسرها. أما الجانب العلاجي لهذه المؤسسات فينبغي أن يهدف إلى حماية هؤلاء الأطفال وتوفير أوجه الدعم جميعها والمساعدة والرعاية العلاجية المتخصصة.

ويستطيع أخصائيو الصحة النفسية منع إساءة معاملة الطفل عن طريق:

- تأسيس برامج تعليمية لتدريب القائمين على الرعاية الأبوية الجيدة وامتلاك المهارات.
- زيادة وعي الأفراد ببدايات سلوكيات الإساءة، وبذلك يمكنهم البحث عن المساعدة لتقويم أطفالهم دون اللجوء إلى إساءة معاملتهم.
- تثقيف الجمهور حول إساءة معاملة الأطفال ليتمكنوا من الإبلاغ عن حالات الإساءة بحيث يمكن التدخل فيها تدخلاً مبكراً.
- إقامة علاقة ثقة مع الأطفال بحيث يتمكن الطفل من الإخبار عن سوء المعاملة إخباراً مريحاً.
- عدم ترك الطفل وحيداً.
- جمعه مع من يحب ويرتاح إليه.
- التبليغ عن الحالة إلى الاختصاصيين النفسيين في المدرسة (مما ينبغي تفعيل دور الاختصاصيين النفسيين في المدارس جميعها).
- توجيه المعلمين إلى أساليب التربية التي تتسم بالتقبل.
- تدريب المعلمين والإداريين على الملاحظة.
- تدريب المعلمين على أساليب تعديل السلوك.

- الاستماع لشكوى الطفل استماعاً موضوعياً (مسعد أبو الديار، 2014، ص 143-144).

ومن خلال ما سبق نستخلص ما يلي:

1. إن الإساءة الوجدانية تؤثر على تقدير الطفل لذاته وعلى حياته الانفعالية من خلال مجموعة من السلوكيات مثل: كالاستخفاف بالطفل، والفشل في توفير الحب والرعاية والإرشاد الكافي.
2. تؤدي الإساءة الوجدانية إلى حدوث الاضطرابات النفسية والسلوكية الخطيرة وتضعف القدرة على النجاح، ولقدرة على تكوين علاقات سوية مع الآخرين.
3. أن الإساءة الوجدانية تحدث من غالباً من الأشخاص القائمين على رعاية الطفل. وبالتالي فالواجب على الآباء والمربين التنبيه إلى أن الأطفال ما هم إلا براعم غاية في الرقة لا ينتشر أريجها إلا بالتنبيه إلى الإهمال الوجداني والترصد له إذا ما بدا وسحقه وإبداله بالحب والمودة والاشباع الوجداني.

خلاصة:

من الاعتبارات التي يجب أن تراعيها الأسرة في التربية الوجدانية للطفل هي أن هناك أشكالاً متعددة من العنف تمارس تجاه الأطفال داخل الأسرة لا يمكن تجاهلها، وأن العنف بصوره المختلفة له أضرار بالغة وآثار ضارة عميقة على نفسية الطفل، ولكي تتجح الأسرة في تحقيق تربية وجدانية لأطفالها لابد من نبذ وتجنب استخدام العنف مع الأطفال. وبناء الذات عند الطفل حيث تلعب الأسرة دوراً جوهرياً في بناء ذوات أطفالها.

. قائمة المراجع:

1. أبو الديار مسعد (2014): البناء الوجداني للطفل، دار الكتاب الحديث، الطبعة الأولى، مصر.
2. أحمد أوزي (2014): سيكولوجية العنف - عنف المؤسسة ومأسسة العنف، ط1، منشورات مجلة علوم التربية، مطبعة النجاح الجديدة، الرباط، المغرب.

3. العجمي فيصل محمد نهار مناحي (2003): أبعاد الإساءة تجاه الأطفال المعاقين ذهنياً لدى كل من المعلمين وأولياء الأمور في دولة الكويت، رسالة ماجستير في التربية الخاصة غير منشورة، كلية الدراسات العليا، جامعة الخليج العربي، الكويت.
4. إنتصار هاشم مهدي، عفاف زياد وادي، ايمان حسنجدان (2015): العنف العاطفي لدى تلاميذ المرحلة الابتدائية، مجلة البحوث التربوية والنفسية، العدد (44)، ص ص [224-255].
5. ماجد أبو جابر وآخرون، جهاد علاء الدين، لبنى عكروش، يعقوب الفرح (2009): إدراكات الوالدين لمشكلة اهمال الأطفال والإساءة إليهم في المجتمع الأردني، المجلة الأردنية في العلوم التربوية، مجلد 5، عدد 1، ص ص [15-44].
6. هه تاو كريم (2014): ظاهرة العنف الأسري (دراسة ميدانية في مدينة أربيل)، ط 2، مطبعة الثقافة، العراق
7. محمد سعيد الخولي (2008): العنف المدرسي الأسباب وسبل المواجهة، سلسلة قضايا العنف (2)، مكتبة الانجلو المصرية، مصر.